جامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالديدامون – شرقية

مِن الأبعاد المقاصديَّة في وسطيَّة الأحكام النقدية

(دراسة في نقد النقد)

إعداد

دكتور: عمر محمد إبراهيم محمد

مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

بالديدامون – شرقية

المؤتمر العلمي الدولي الأول

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

مِن الأبعاد المقاصديَّة في وسطيَّة الأحكام النقدية (دراسة في نقد النقد)

عمر محمد إبراهيم محمد

قسم: الأدب والنقد - كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون- شرقية- جامعة الأزهر المدينة : فاقوس الدولة: جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:OmarMohamed٥٤.el@azhar.edu

ملخص البحث:

يتناول البحثُ أبرز الأبعاد المقاصدية في الأحكام التي أَصدَرها النُّقَـادُ على الأعمال الأدبية، في العصرين : القديم والحديث، ومدى جُنوحهم للوسطية التي تجعل من الحُكم النقدي حُكْمًا موضوعيًا، بعيدًا عن التعصُّب والتحزُّب، وقد ذكرتُ نماذج لذلك من القديم والحديث، وتعتبر هذه الأحكام مدار اشتغال البحث؛ حسب ما يـقتضيه منهج "نقد النقد"، فوقفتُ على أبرز مظاهــر تناغمها مع مقاصد الأدب وغايته، وما يعود على أركان عملية الاتصال، وأهمها: (المبدع، والرسالة، والمتلقي) .

الكلمات المفتاحية : (المقاصد – الوسطية – الأحكام النقدية – نقد النقد) .

The intentional dimensions in the moderation of critical judgments of the old and modern critics (A study in the criticism of criticism")

Omar Muhammad Ibrahim Muhammad
Department of Literature and Criticism - Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Didamon - Sharqia - Al-Azhar University
. city: Faqous Country: Arab Republic of Egypt
E-mail: OmarMohamed٥٤.el@azhar.edu

Research Summary:

The research deals with the most prominent intentional dimensions in the judgments issued by critics on literary works، in the old age and the modern age ، and their delinquency towards moderation that makes critical judgment an objective judgment، away from fanaticism and partisanship.l have mentioned examples of this from the old age and the modern age، and these judgements are considered the focus of the research work ; according to the "Criticism of criticism" approach. So I have focused on the most prominent manifestations of its harmony with the purposes of literature and its great aim ، and what goes back to the pillars of the communication process، the most important of which are: (the sender ، the message، and the recipient).

Keywords : (Objectives - Moderation - Critical judgments – Criticism of criticism) .

مقدمة

لكل عملٍ من الأعمال البشرية هدفٌ وغاية، تنسحب بالضرورة على الأفراد والمجتمعات، ويُعد الإبداع من الأمور التي لا غنى عنها للإنسانية، والمشتغلون بالنقد الأدبي يسيرون جنبًا إلى جنب مع قاطرة المُبدعين، يُحيون أعمالهم، ويناقشونها، ويَحكُمون عليها، ويضعونها في المرتبة اللائقة بها، ولكُلٍ وجهة في نقده، وميزانٌ يَزِن به، فمنهم من يتّسم بالتجرد والموضوعية والوسطية والاعتدال، ومنهم من يُتبع نفسه هواها؛ فيقدِّم ويؤخِّر؛ لأسبابٍ لا تتصّل بالعمل الأدبي، هذه الأسباب إمَّا أن تكون تحيُّــزًا لأشخاص، أو أمكنة، أو أزمنة، فيُغرَّد بعيدًا عن مقاصد النقد المُتَّزن، والعدل الذي هو أساس كل حُكمٍ أيًّا كان نوعه .

ومن المعلوم أنَّ الناقد كالقاضي، لا ينبغي له أن يَحكم بهواه، بل يُقبِل على العمل متجردًا مِن كل فكرةٍ مُسبَقة، أو انطباعٍ شخصيٍّ؛ حتى يَخرج الحُكْمُ النقديُّ خاليًا من التعصُّب الذي يضر العملية النقدية برُمَّتها، ولا يَخفى أنَّ التصور الإسلاميّ قد ألقَى بظلاله على الفكر النقدي منذ بزوغ فَجْر الإسلام، وحتى الآن، وسيظل إلى أن يشاء الله؛ ومن المعلوم أنَّ الوسطية والاعتدال منهجٌ إسلاميّ أصيل في مختلف النواحي، وشتّى القضايا، انطلاقًا من قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ...) (البقرة : ١٤٣).

هدف البحث

ولهذا حاولتُ في هذا البحث أن أُبيِّن كيف عملتْ الوسطية على تجنب الزَّلل في الأحكام النقدية؛ فصارت مُتسقة مع المقاصد التي تعارف عليها النقاد في القديم والحديث، مقاصد فنية جمالية، ومقاصد قيمية أخلاقية، ومقاصد تاريخية حضارية، وهي رسالة للمشتغلين بالنقد؛ كي يسيروا على هُـــــداها، فتكون أحكامهم وسطية متجردة، لا غلو فيها مدحًا أو قدحًا؛ للتناغم مع هذه المقاصد، وغيرها من غايات الفنون الإبداعية جميعها .

من الدراسات السابقة :

- الوسطية في منهج النقد الإسلامي، د. وليد قصاب ، سلسلة روافد، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، الإصدار: ٥٧، سبتمبر ، ٢٠١٢م .

- المذهب الأدبي الوسَط، د. يوسف عبد الوهاب ، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر، مجلد: ٢٨، عدد: ٧، ٢٠١٢م .
- الوسطية في الفكر النقدي العربي القديم ، وأثره في قبول التجديد، د. ليلى شعبان بالاشتراك، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنوفية، عدد، ١١٣، ٢٠١٨م .

وقد تناولتُ – في معظمها– المنهج الوسطي، دون التطرق غالبًا إلى مقاصد الأدب وغاياته، وهو ما حاولتُ مقاربته، والتوصل إلى بعضها بعون الله .

خطة البحث ومنهجه:

اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة للتعريف به وبخطته ومنهجه، ثم ثلاثة محاور تناولت بعض الأبعاد المقاصدية للنقد، الأول: البُعد الأخلاقي، والثاني: البُعد الديني، والثالث: البُعد الفني، وذلك عبـــــر نصوص نقدية مختارة، ليس بغرض الاستقصاء الشامل، بل باعتبارها عينة بحثية، لمحاولة الوصول إلى النتيجة التي توصَّل البحث إليها، وقد اهتديتُ بما يُعرف بـ "نقد النقد"؛ حيث رصدتُ بعض مظاهر التوسُّـــط في هذه النماذج المختارة ، ومدى تناغمها مع مقاصد النقد وغاياته، وذيلتُ البحث بخاتمة؛ لإثبات بعض نتائجه، ثم ثبتٌ بأهم المراجع والمصادر التي اتَّكأ عليها البحث، ثم فهرس المحتويات، والله أسأل أن ينفع به في الآخرة والأولى، والحمد لله رب العالمين.

الباحث

تمهيد

تحرير المفاهيم في عتبة العنونة

(المقاصد – الوسطية- نقد النقد)

أولًا : المقاصد

مقصد: مصدرٌ ميميٌّ مُشتقٌّ من الفعل " قصد"، ويجمع على مقاصد ، ويدور في اللغة حول معان كثيرة، منها(١): استقامة الطريق، كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ...﴾ (النحل : ٩)، ومنها : التوسط وعدم الإفراط والتفريط كما في قوله -جلَّ وعزَّ-: ﴿... واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ... ﴾ (لقمان : ١٩) ، وكما في قوله :ﷺ "القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا " .

والمقاصد - في الأصل- مصطلح فقهي، يكثر دورانه في مصنفات علماء الشريعة، وبخاصة أرباب علم أصول الفقه، وذلك للحديث عن المقاصد الشرعية الضروريَّة منها، والحاجيَّة، والتحسينيَّة...، لكن العلوم -جميعًا- لها مقاصد وغايات يعمل العلماء في كل عصرٍ ومصر على تحقيقها؛ حتى يعم نفعها بين الناس، ومنها العلوم المرتبطة باللغة؛ حيث إنَّ الكلام " إنما هو مبنيٌّ على الفائدة في حقيقته ومجازه..."(٢)، ولهذا نجد بعض علماء اللغة المعاصرين يتبنون نهجًا جديدًا في مقاربة مقاصد علوم اللغة، وعناية الحضارة العربية الإسلامية بها، ومنها هذا البحث الذي يقع تحت عنوان " مقاصد عناية الحضارة العربية الإسلامية بعلم الأصوات " (٣) .

وقد جُبل الإنسان السويُّ على السعي نحو كل ما يجلب له المنافع، ويبعده عن المفاسد؛ "فالإنسان بطبعه يُـــؤثـــــر ما رجحتْ مصلحته على مفسدته، وينفر ممَّا رجحت مفسدته على مصلحته" (٤)، ولا يخفَى أن المؤسِّسين للعلوم، والمُنظِّرين لها، كان الهدف الرئيس لهم المنافع التي تعود على الناس جميعًا من جهودهم، وأعمارهم التي أفنوها في الرواية والتدوين والتصنيف .

---

(١) ينظر: علم المقاصد الشرعية ، نور الدين الخادمي، ١٣، مكتبة العبيكان، ط. ١، ٢٠٠١م .

(٢) الموازنة ، للآمدي ، ص ٢٠١ .

(٣) وهو بحث الدكتور" خالد فهمي"، أستاذ اللسانيات في كلية الآداب، جامعة المنوفية ، منشور في مجلة كلية القرآن الكريم، جامعة الأزهر، طنطا ، عدد: ١، ٢٠١٥م .

(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، الشيخ: العز بن عبد السلام ، ص١٢، دار المعارف، بيروت، د. ت .

ثانيًا : الوسطية

"وسَط" بفتح السين: اسم لما بين طرفي الشيء، والوسَط: من كلّ شيء: أَعْدَلُهُ، وهو بناءٌ صحيح يدلُّ على العَدل والنِّصف، وأَعْدلُ الشَّيءِ: أوسَطُه ووَسَطُه، وهو أوسَطُهم حَسَبًا: إذا كان في واسطة قومه وأرفعِهم محلًّا، هذا في اللغة(١)، والوسطية لا تبتعد في الاصطلاح -كثيرًا- عن دلالاتها اللغوية، فهي تعنى- ضمن ما تعني- العدالة والخيرية، والتوسط بين الإفراط والتفريط، كما يقول "ابن جرير الطبري" في تأويل قوله تعالى﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾ : وأرى أن الله- تعالى ذكره- إنما وصفهم بأنهم "وسَط" ؛ لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه... ولا هُم أهلُ تقصير فيه... ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك؛ إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله لما فيها من التيسير الذي تدعو إليه الشريعة، وهو ما تتطلبُه النفس البشرية التي تأنف من الغلو، أو ما يقابله من تفريطٍ أو انحلال .

ثالثًا: نقْد النّقد

يدور هذا المصطلح حول فحص الأعمال الإبداعية ودراستها، والحُكم عليها، ومدى موافقتها قواعد الإبداع وأُسسه، فهو خطابٌ " واصف للنقد، إنَّه خطابٌ يجعل من النصوص النقدية مدار اشتغاله"(٣)، وتحليلُ هذه النتائج التي توصَّل إليها الناقد للحُكم على عملٍ ما، ينبغي البحث عن دوافع هذا الحُكم، وهل هناك خصومات نقدية أو مذهبية، أو سياسية، أو غيرها من المؤثرات؟ أم أنَّ الناقد قد اتخذ لنفسه خطًّا وسطًا متجردًا من الأهواء والانتماءات؛ إعمالًا للمقاصد، وسعيًا للنفع العام، وأهمها البُعد الأخلاقي، والبعد الديني، والبعد الفني، كما سيتضح في هذه المحاور الآتية .

---

(١) ينظر: " مقاييس اللغة" ، ج٦، ص ١٠٨، و"القاموس المحيط" ، ص ٨٩٣، و" لسان العرب"، ج٧، ص ٤٢٦، مادة : "وسط " .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، ج٣، ص ١٤٢، تحقيق الشيخ : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط. ١، ٢٠٠٠ م .

(٣) ينظر : نقد النقد، عبد الكريم الشندودي ، ص ١٧، إفريقيا الشرق- المغرب ، ط.١، ٢٠١٦م، نقد النقد في المفهوم والمقاربة والمنهجية ، محمد مريني ، علامات في النقد، مجلد : ١٦، عدد: ٦٤، ٢٠٠٨م، ص٤٠ .

المحور الأول

البعد الأخلاقي

إنَّ مهمة الناقد تنسحب بالضرورة على سلوكه وذوقه واختياراته وأحكامه؛ حيث إنَّ الالتزام بقواعد النقد له " كبير الأثرِ في تربية الذَّوق"(١)، وصناعة الملَكة، وسمو النفس، والتجرد من الأهواء الشخصية .

وقد بدأت هذه القيم الأخلاقية في النقد قبل ظهور الإسلام، ومن نماذج ذلك: رؤية "زهير بن أبي سلمى" لقضية الصدقَ في الشِّعر، الذي لخَّصه بتمثُّل قول "حسان بن ثابت" : (البسيط)

وانّ أشعر بيتٍ أنتَ قائلُه

بيتٌ يُقال إذا أنشدتَه صَدَقا(٢)

وقد طابق إبداعُ "زهيرٍ" هذا التنظير، بشهادة سيدنا "عمر بن الخطاب" – رضي الله عنه– الذي قال ذات مرة لسيدنا "عبد الله ابن عَباس– رضي الله عنهما– : " أنشدني لأشعر الناس، الذي لا يُعاظِل بين القوافي ولا يَتَتَبَّع حُوشيّ الكلام، قال: مَن ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: زُهير بن أبي سُلْمى، فلم يَزل يُنشده من شِعره حتى أصبح.

والصدق – وهو مقصد رئيس من مقاصد التوسط في الأحكام النقدية – لا يعني مطابقة الواقع للخطاب، فحسب، بل صدق المشاعر، والتعبير المناسب، والصورة الموحية المقبولة لا غلو فيها أو شطط، والعاطفة التي لا يشوبُها تزييفٌ أو ادّعاء، فقد "عابت العربُ المهلهلَ بنَ ربيعةَ؛ لكذبه وتزيُّدِه في القول، وقالوا عنه: " كان يدّعي في شِعره، ويتكَثَّرُ في قولِه أكثرَ من فِعلِهِ" ومن دلائل ذلك – أيضًا– أن بني تَميمٍ قالت لسَلامة بن جَندَل: مَجِّدْنا بشعرك، قال: "افعلوا حتى أقول" (٣) .

---

(١) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د . إحسان عباس، ص١٧٠، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م.

(٢) خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، ج٢، ص٨، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط. ١، ١٩٧٨م .

(٣) العقد الفريد، لابن عبد ربه، ج٦ ، ص١٢، تحقيق: د عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

ويعتبر هذا معيارًا أخلاقيًّا نقديًّا في وعي نقاد الجاهلية، ثم جاء الإسلام، وأقرَّ مِثل هذه الأحكام، وحرّض عليها، وقد ردَّ كثير من النقاد على "الأصمعي"(ت ٢١٦ه) قوله :" إن أعذب الشعر أكذبه"، حتى قال الآمدي (ت٥٥١ه): " وقد كان قوم من الرواة يقولون أجود الشعر أكذبه، ولا والله ما أجوده إلا أصدقه، وفي موضع آخر يقول: "أصدق الشعر أبلغه، والبلاغة إنما هي إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصاناً يقف دون الغاية، وذلك كما قال البحتري: (المنسرح)

والشِّعر لُمَّحٌ تكفى إشارَتُهُ

وليس بالهَذِرِ طُوِّلتْ خُطَبُه (١)

ومن الممكن أن يكون "الآمدي" قد تأثر بمذهب "ابن طباطبا" (ت ٣٢٢ه) فيقول: " والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق، والجائز المعروف المألوف، ويتشوّف إليه، ويتجلى له، ويستوحش من الكلام الجائر، والخطأ الباطل، والمحال المجهول المنكر، وينفر منه، ويصدأ له " (٢) لكن ما المقصود بالحقيقة التي تقابل الباطل في قول "ابن طباطبا"؟ هل مجافاة التخييل، والابتعاد عن المجاز؟ وهذا ما لم يقل به أحدٌ من النقاد في القديم ولا في الحديث، ويُبين ذلك صاحبُ "منهاج البغاء"، فيقول: " وكثير من الناس يغلط فيظن أنَّ التشبيه والمحاكاة من جُملة كذب الشعر، وليس كذلك؛ لأنَّ الشيء إذا أشبه الشيء فتشبيهه به صادق؛ لأنَّ المشبه مُخبِرٌ أنَّ شيئًا أشبَه شيئا، وكذلك هو بلا شك، ولأنَّ التشبيه بإظهار الحرف وإضماره قول صادق، إذا كان في أحدُ الشيئين شَبَهٌ مِن الآخر... وكذلك جميع تشبيهات الكتاب العزيز، الشَّبه فيها ظاهر- فقد تبيّن أنَّ الوصف والمحاكاة لا يقع الكذب فيهما إلا بالإفراط، وترك الاقتصاد " (٣) .

---

(١) الموازنة ، ص ٤٢٤ .

(٢) عيار الشعر، لابن طباطبا العلوي، ص٢٠، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط.٢، ١٩٩٥م .

(٣) منهاج البلغاء و سراج الأدباء، حازم القرطاجني ، ص٧٥، تحقيق : محمد بن الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ١٩٨٦م .

والمتأمل يَــرىٰ أنَّ "القرطاجني" بدا موقفُه وسطًا؛ فقد انتصر للتخييل والمحاكاة، ولكن بلا إفراط وغلو، فإنَّ الإفراط وترْك الاقتصاد يضرُّ العملية الإبداعية، وهو ما ينافي المقاصد التي يسعىٰ إليها النقد، فإنَّ النقاد ينتصرون للإبداع الذي تتراءىٰ فيه الفكرة من وراء الشعور، بعد إثارة ذلك الشعور في بادئ الأمر؛ بسببٍ من لغة الأدب المُوحية، التي تتناغم فيها الرؤية والأدوات الفنية، واعتبار مقتضىٰ الحال ومناسبة السياق، و" القرطاجني"- نفسه- قد حدد خمسة مواطن لأحوال الأقاويل - باعتبار الصدق والكذب- لكل مقام منها مقال...، ولكنه ختم هذا الحديث بقوله : " والقول الصادق إذا حرف عن العادة، وألحق به شيء تستأنس به النفس، فربما أفاد التصديق والتخييل معا، وربما شغل التخييل عن الالتفات إلىٰ التصديق والشعور به" (١) .

وكان هذا التوسط له ظلال علىٰ النقد الأدبي الحديث؛ حيثُّ إن الدكتور "محمد غنيمي هلال" (ت ١٩٦٨م)، يقول معلقًا علىٰ هذه القضية:" ولكن إذا كان هذا التخييل مبنيًا علىٰ التزييف وخداع النفس والناس، فهو ضارٌّ بالصدق، وغير محمود "(٢) .

وتبقىٰ العلاقة بين دائرة الأفكار والمحتوىٰ، والتشكيل الفني والتصوير الموحي، وكذلك بين الحقيقة والتخييل: علاقة تكاملية لا تفاضلية، فليس الأدب -كما يقول صاحب كتاب "النقد الأدبي.. أصوله ومناهجه" - عدوًا للحقائق من أي لونٍ كانت، إنما المهم أن تصبح هذه الحقائق شعورية، وأن تتجاوز المنطقة العقلية الباردة إلىٰ المنطقة الشعورية الحارّة ..." (٣)، وهذا من الأقوال التي تجنح نحو الوسطية والاعتدال .

وللكلام خصائص وفضائل حتىٰ يكتمل نفعه، ويصل إلىٰ غايته وهدفه، كما حدها بعضهم بقوله: "إنَّ فضائل الكلام خمسٌ لو نقص منها فضيلة واحدة سقط فضل سائرها، وهي: أن يكون الكلام

---

(١) منهاج البلغاء ، ص ٨٦ .

(٢) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص ٢٢٣، نهضة مصر، ط.٦، ٢٠٠٥م.

(٣) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص ١٤، دار الشروق ، ط. ١٠، ٢٠١٠م .

صدقا، وأن يوقع موقع الانتفاع به، وأن يتكلم به في حينه، وأن يحسن تأليفه، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة، قال: ورذائله بالضد من ذلك " (١) .

وهو الأمر الذي اعترف به النقادُ الغربيون، ومنهم "ستيفن سبندر" في كتابه"الحياة والشاعر" يقول:" واجب الشعراء أن يكونوا صادقين"(٢)، وليس المقصود بالصدق: التضييق على خيال الشعراء، فالشعر لابدَّ له من مبالغات حميدة، وجمالٍ فنيٍّ يميزه عن غيره من فنون القول، من خيالٍ خصبٍ، ونغم أخَّاذ، يأخذ بِلُبِّ المُتلقي إلى عوالمَ أُخرى، وإلَّا صار مَيِّتًا لا حياة فيه، ولله درُّ من قال : (الطويل)

إذا الشِّعرُ لم يَهزِزْكَ عند سَماعِه

فليس خليقًا أن يُقال له شِعرُ(٣)

ولا يُقصد بالصدق- أيضًا- مطابقةُ العالم الخارجيّ ومحاكاته من غير حياة أو تخييلٍ مُشعٍ مُوحٍ، بل " اتساق الشاعر مع نفْسه " بلا تزييفٍ، أو مبالغة مذمومةٍ، ولذلك كان "زهير" يستحق الثناء من أمير المؤمنين "عُمَرَ"- رضي الله عنه-؛ إذ لم يَمدح زهيرٌ رجلًا إلا بما فيه؛ ليكتمل له العنصرُ الأخلاقيّ، بالإضافة إلى صنْعته وتجويده لشِعْـــره؛ فهو من أنصار الشعر الحَوْلِيِّ المُحَكَّك، ولكنه كان يحاول أن يجد لمَـــدْحه- وهو كثيرٌ- مَخْرجًا من المبالغة المُفْرِطة، والإيغال في الوصف، كما يشهد" الرافعيُّ" له في هذا الباب- أيضًا- فيقول(٤): "ولزهير طريقةٌ في تقريب المبالغة، والبلوغ إلى الإفراط والإغراق مِن طريق الحقيقة؛ كراهيةً للكذب الثقيل... فتراه يدور المعاني؛ حتى يُبصر لها طريقًا إلى الحقيقة، ويجد لها مخلصًا إلى الواقع، ومن ذلك عندما قال مادحًا : (الكامل)

---

(١) الموازنة ، للآمدي ، ص ٤٢٨.

(٢) الحياة والشاعر،"ستيفن سبندر"، ترجمة : د. محمد مصطفى بدوي، ص ١٠٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م .

(٣) البيت للشاعر العراقي "جميل صدقي الزهاوي" (ت ١٩٣٦م) .

(٤) تاريخ آداب العرب، للرافعي، ج٢، ص ٢١٩، مكتبة الإيمان – المنصورة ، ط.١، ١٩٩٧م .

ولأنتَ أشجعُ من أسامةَ إذْ

دعيت نزال ولُجَّ في الذُّعُرِ

فقيل له: " أنت لا تكذب في شِعْرك، فكيف جعلتَه أشجع من الأسد؟ فقال: إني رأيته فتح مدينةً وحده، وما رأيت أسدًا فتحها قط"، فانظر كيف جعل لنفسه مخرجًـــا وطريقًا إلى الصدق، وعدَّىٰ عن المبالغة (المذمومة)[1].

ومن المقاصد في هذا التوسط: هو التكامل بين القيم التعبيرية والقيم الشعورية، ومطابقة الواقع، لا كما هو، بل بكثرة مائه، وجمال مجازه، وحسن تخييله، والابتعاد – في هذا كله– عن التكلف الممقوت، الذي يَخرج من طور الإمكان، إلى الاستحالة والامتناع، وتزوير الحقائق الذي قد يؤدي إلى بطر الحق، وغمط الناس .

و"العدل" في الأحكام مِن أبرز المقاصد عند معظم النقاد– وهي قيمة دينية أخلاقية– وبخاصة عند من تعرض للخصومات النقدية ، كما حدث في المعركة النقدية بين "أبي "تمام" (ت ٢٣١ هـ)، و" البحتري" (ت ٢٨٠هـ)، وكذلك حول شِعْـــر "المتنبي" (٣٥٤هـ)، فنجد بعض المصنفّات يحمل عنوانها ما يحمله بين طياته من مقاصد الوسطية والاعتدال، ومنها كتاب" الوساطة بين المتنبي وخصومه"، للقاضي الجرجاني(ت ٣٩٢هـ)؛ حيث إنَّه وقف موقفًا وسطًا بين المؤيدين والرافضين، فقال في مقدمة كتابه : " وما زلتُ أرىٰ أهل الأدب – منذ ألحقتني الرغبةُ بجملتهم، ووصلَت العنايةُ بيني وبينهم – في أبي الطيب أحمد بنِ الحسين المتنبي فئتين: من مُطنب في تقريظه، منقطع إليه بجملته، منحطّ في هواه بلسانه وقلبه، يلتقي مناقِبَه إذا ذُكِرت بالتعظيم، ويُشيع محاسنه إذا حُكيت بالتفخيم، ويُعجَب ويعيد ويكرر، ويميل علىٰ من عابه بالزِّراية والتقصير، ويتناول من ينقصُه بالاستحقار والتجهيل؛ فإن عثَر علىٰ بيت مختلّ النظام، أو نبَه علىٰ لفظ ناقص عن التمام التزم من نُصرة خطئه، وتحسين زلَلَـه ما يُزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر، وعائبٍ يروم

---

(١) ينظر: قضايا حول الشعر، د. عبده بدوي، ج١، ص ١٧٤، ١٧٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٢م .

إزالتَه عن رُتبته، فلم يسلّم له فضله، ويحاول حطّه عن منزلةٍ بوّأه إياها أدبُه؛ فهو يجتهدُ في إخفاء فضائله، وإظهار مَعايبه، وتتبع سقطاتِه، وإذاعة غَفلاته" (١) .

وهو بهذا يُنكِر على مَن انحرف في نقْده ، سواءً أكان مِن المؤيدين أم من المعارضين، والذين يدعوهم جميعًا إلى التماس المعاذير، وإقالة العثرة، فليس شأن الحَكَم المتجرد تصيد الأخطاء، وإهالة التراب على أهل الفضْل إن زلت قدم أحدهم؛ فلكل جوادٍ كبوة، ولكل عالمٍ هفوة .

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، ص١٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بالاشتراك، المكتبة للعصرية، بيروت ، ط. ١، ٢٠٠٦م .

المحور الثاني

البُعد الديني

ومِن مقاصد الاشتغال بالنقد والتوسُّط في أحكامه، ومعرفة جيد الأدب من رديئه : الوصول إلى إعجاز الكتاب العزيز، وكيف أنَّه قد تحدّىٰ العرب، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة ؛ حتىٰ شهدوا له فقالوا: " ما هذا بقول بشر"، ولهذا جعل أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ه) –صاحب الصناعتين– تعلم أنماط الفصاحة، وأساليب البلاغة، وقواعد اللغة التي تعارف عليها العرب في المرتبة الثانية بعد الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وذلك للصلة الوثيقة بين هذه العلوم والقرآن الكريم، فيقول: " اعلم– علّمك الله الخير، ودلّك عليه، وقيّضه لك، وجعلك من أهله – أنّ أحقّ العلوم بالتعّلم، وأولاها بالتحفّظ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالىٰ، الناطق بالحق، الهادي إلىٰ سبيل الرّشد، المدلول به علىٰ صدق الرسالة وصحّة النبوة، التي رفعت أعلام الحقّ، وأقامت منار الدّين، وأزالت شُبه الكفر ببراهينها، وهتكت حُـجـُب الشّك بيقينها"(١)، وإنَّ معرفة كُنه هذه المعجزة الخالدة، لتأتي في المرتبة الثانية بعد توحيد الله، سبحانه وتعالىٰ.

بل إنَّ الإمام "عبد القاهر الجرجاني" (ت٤٧١ه)، يرىٰ أنَّ من يَصدُّ عن الشِّعر دراية ورواية، ودراسة ونقدًا، لصادٌّ عن تِبيان وجوه إعجاز الكتاب الخالد؛ حيث " إنَّ الحُجَّة قد قامت بالقرآن، من جهة كونه بالغًا في البراعة مبلغًا تعجز عنه قُوىٰ البَشَر، ولا يمكن أن نعرِف هذا إلا إذا عرفنا الشِّعر، وميّزناه، وأحكمنا فهمه، ونقده، وعياره، وعرفنا الأمر الذي به يفضل بعضه بعضًا، والأمر الذي به يَفضل القرآن كلَّ شِعر، وكل كلام، وبها يكون صرْفُ الناس عن الشِّعر صرفًا لهم عن معرفة وجه الحُجة التي قامت بالقرآن " (٢).

---

(١) الصناعتين، أبو هلال العسكري، مقدمة المؤلف، ص ٧، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت .

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز ، الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص ٢٥، دار الكتاب العربي، ط.١، ١٩٩٥م .

والحاصل أنَّ هذه النماذج- وغيرها- لتصدُر من قناعة تربط بين تعلُّم وتعليم علوم اللغة والعقيدة، وأنَّ ما فيها من مقاصد النقاد حين يعكفون على تتبُّع كلام العرب، وما فيه من معجم لُغوي، ودلالات ومضامين، وقواعد نحوية وصرفية وبلاغية وأسلوبية، وما فيه من جمال النَّظم، وحُسن التخييل، وسحر النغم... لهو عبادة لله، وخدمة لكتابه، ودعوة للتصديق بنبوة النبي الكريم محمد- صلى الله عليه وسلم- وكذلك للعلوم الإسلامية الأخرى، كالحديث والتفسير والفقه وأصوله...؛ إذ " إنَّ هذه العلوم -جميعًا- تتداخل وتتآزر... فهي بمثابة الجِسم المتكامل، وموقع كل عِلْمٍ إنما هو موقع العضو الحي في هذا الكيان الحي" (١)، وهذه العلوم جميعًا تتكامل لا تتفاضل، فإذا علم ذلك شداةُ العِلم، أخلصوا نيتهم، وولوا وجوهَهم شَطْر معالي الأمور، وساروا على الجادّة، والتزموا بالمنهج الوسط- الذي هو شعار الإسلام -؛ حيث لا إفراط ولا تفريط، وقد تحروا الصدق والعدل في أحكامهم وتوجهاتهم واختياراتهم .

وقد أَفرَدَ "ابنُ فارس" (ت ٣٩٥هـ) في كتَابِه" الصَّاحِبي في فقه اللغة" بابًا سمَّاه (باب القول في حاجة أهل الفِقه والفُتيا إلى معرفة اللغة العربية"، جاء فيه " إنَّ العِلم بلُغة العرب واجبٌ على كل متعلقٍّ من العِلم بالقرآن والسنة والفُتيا بسبب، حتى لا غناء بأحدٍ منهم عنه؛ وذلك أنَّ القرآن نازلٌ بلُغة العَرب، ورسول الله ﷺ عربيٌّ، فمَن أراد معرفة ما في كتاب الله -جلَّ وعـَز-، وما في سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ مِن كُلِّ كلمةٍ غريبةٍ أو نظمٍ عجيب لم يَجِد من العِلم باللغة بُدّا"(٢)؛ وذلك لـفَهْم مراد النصوص، واستنباط الدليل، ودعوة المُقِّبلين، ومحاوَرة المتشككين، ومقارعة المُنكِرين؛ حيث إنَّ القرآن الكريم- كِتَابَ الله المعجِز – دليلٌ من أدلة صِدق النُبوَّة، وصِحَّة الرسالة .

بل إنَّ "الجاحظ" (ت ٢٥٥هـ) يشير إلى أنَّ الكلام يبلغ درجة من الفنية والاقتراب من الكمال؛ إذا صحتْ نِيَّةُ صاحبِه، والتزم قائله بتقوى الله ومخافته، بشرط شرف المعنى، وبلاغة اللفظ، وصحة الطّبع، والبُعد عن التكلّف، فيقول:" وأحسن الكلام ما كان قليلة يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر

---

(١) ينظر: دراسة في البلاغة والشعر ، د. محمد محمد أبو موسى ، ص ١٦، ١٧، مكتبة وهبة ، ط.١، ١٩٩١م.

(٢) الصَّاحبي في فقه اللغة،لابن فارس، ص ٥٠، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة الحلبي، القاهرة، د. ت .

لفظه، وكان الله -عزَّ وجلَّ- قد ألبسه من الجلالة وغشَّاه من نور الحِكمة على حسب نية صاحبه، وتقوى قائله، فاذا كان المعنى شريفًا، واللفظ بليغًا، وكان صحيح الطّبع، بعيدًا من الاستكراه، ومُنزّهًا عن الاختلال، مصونًا عن التكلف؛ صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة؛ أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة "(١) .

ولا شكّ أنَّ هذه النظرة التكاملية بين القيم الفنية والقيم الروحية لتَرفع من أسهم الفكر النقدي الوسطي الذي يجمع بين العقل والروح، وبين المظهر والجوهر وبين الأصالة والتجديد ، مع الإقرار بأنَّها ليست قاعدة مطردة، ولكل قاعدة استثناء .

وغيرها من النماذج النقدية التي تنبئ عن وعيٍ بتحريض الجانب الديني على السعي نحو نقدٍ بناء ملتزم؛ خدمة للسان الكتاب العزيز، والسنة الصحيحة المطهرة، وتربية الذوق، ونشر الفضيلة، فضلًا عن الالتزام بالقيم الخلقية كالصدق والعدل والتجرد والإنصاف، فيخرج النقد نقيًا بعيدًا عن الأهواء .

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، ص٥٩، دار صعب، بيروت ، ط.١، ١٩٦٨م .

المحور الثالث

البُعد الفَنّي

ويعتمد هذا المعيار على عمودين رئيسين، الذوق والملَكة، والعناصر الفنية الموضوعية التي يحتكم إليها النقاد، وما تعارَف عليها السّلَف والخلف، والتي من خلالها يتم التفاضل بين المبدعين، ويحكم لهم أو عليهم .

ومن هذه القيم التي يَحتكم إليها النقاد: ما قاله "الأصمعي" في الشعر المقبول عنده، عندما سئل ذات مرة: أيّ بيت تقوله العرب أشعر؟ قال: الذي يُسابق لفظه معناه، وقيل للخليل: أي بيت تقوله العرب أشعر؟ قال: البَيت الذي يكون في أوله دليلٌ على قافيته، وقيل لغيره: أي بيت تقوله العرب أشعر؟ قال: "البيتُ الذي لا يَحجبه عن القلب شيء"(١)، ويتعجّب سيدنا "عمر بن عبد العزيز" (ت ١٠١ هـ) مِن رجُلٍ أحسنَ في طلب حاجةٍ بكلام وجيزٍ، ومنطق حَسن، فقال: " هذا والله السِّحر الحلال" ، ويُعلِّق على ذلك "الجاحظ"، بقوله :" فالقصد من ذلك أن تجتنب السُّوقي والحوشي، ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ، وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني، وفي الاقتصار بلاغ، وفي التوسط مجانبة للوعورة، وقد قال الشاعر (الطويل)

عليك بأوساط الأمور فإنها

نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا(٢)

غير أنَّ هذه القيم الفنية شهدتْ غلوًا عند بعض النقاد، سواءً أكان مدّحًا أم قَـــدْحا، كما ظَهر مَن توسَّط في أحكامه؛ باعتبار القيم الفنية والقواعد اللغوية، وغيرها من متطلبات الإبداع الأدبي، والكلام العالي، وبهدف الحفاظ – كذلك- على الذائقة العربية، مِن أن تذوب أو تندثر بسبب تحيز المناصرين، وخصومة المناوئين.

---

(١) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، ج٦، ص ١٧٤ .

(٢) البيان والتبيين ، ص ١٣٩.

ويُلخِّص لنا صاحب "الوساطة" مذهبَه في النقد الموضوعي للشِّعر، بعيدًا عن الذاتية والأهواء، فيقول:" إن الشِّعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبعُ والرّواية والذكاء، ثم تكون الدُّرْبَة مادةً له، وقوة لكل واحد من أسبابه؛ فمَن اجتمعت له هذه الخصال؛ فهو المحسن المبرِّز؛ وبقدْر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان، ولستُ أفضّل في هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلي والمُخضرِم، والأعرابي والمولَّد..." (١)، فليس عنده ميزان يزن به إبداع الشاعر، إلا بنتاجه، ومدىٰ التزامه بالقيم الفنية، فلا اختلاف الزمان له مزية، ولا المكان كذلك، إنَّما الشأن هو المنجز الإبداعي، متجردًا من أي عوامل أخرىٰ قد تؤثر في الحُكم النقدي؛ إذ إنَّ الناقد يُعد وسيطًا بين المبدع والمتلقي، وينبغي لهذا الوسيط أن يضع كلّ مبدعٍ في المكانة التي يستحقها، بلا تحيُّز .

ويوضح المبرد (ت ٢٨٥ه) مذهبه في النقد أيضًا- في الكامل " وليس لقِدَم العهد يفضُل القائل، ولا لحدثان عهد يهتضم المُصيب، ولكن يعطىٰ كلٌّ ما يستحق، ألا ترىٰ كيف يفضل قول "عمارة" علىٰ قرب عهده: (الطويل)

وما النفس إلا نطفة بقرارةٍ

إذا لم تكدر كان صفوًا غديرها

ويعلق المبرد علىٰ هذا البيت بقوله : " فهذا كلام واضح، وقول عذبٌ " (٢) .

وما كان هذا التبيين من النقاد إلا بعد أن وَجدوا بعض اختلالٍ في ميزان النقد، وبخاصة بين الخصوم، وتأثير الأهواء الشخصية في الحديث عن نتاج الشعراء، وتتبُّع الهفوات والسقطات، أو التحيُّز للقديم علىٰ حساب الجديد؛ بحُجَّة المحافظة علىٰ عمود الشعر العربي، وشرعوا في رفض نتاج المجددين جُملة، كما حدث مع أبي تمام ومَدرسَته؛ وذلك بسبب التأثر بالقديم، وخشية الانعتاق منه، لا بسبب المعايير الفنية، بل بسببٍ من التعصب لعنصر الزمن، وهذا يبتعد عن مقاصد النقد، ووسطيَّة

---

(١) الوساطة ، ص٢٣.

(٢) الكامل، للمبرد، ج١، ص٢٨، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، ط. ٣، ١٩٩٧م.

أحكامه، ومن المهم " أن نقر بأن التجديد شيء لا مندوحة عنه أصلا، وهو واقع لا محالة، إنَّه جزء من سيرورة الزمن وتطوره " (١) .

وقد ظهر ما سمَّاه أحدُ النقاد"الطَّرف الثالث"، أي بين الأنصار والخصوم ، وبخاصة فيما يخص المنجز الإبداعي لأبي تمَّام، فيقول: " وكان من نتيجة مذْهبه -هذا- أن كثُر خصومه، وانصبوا على مذهبه الجديد لومًا وتقريعًا، ورَمتْه بالإسراف في الخطأ، والسرقة في الشِّعر، كما كان له أنصاره الذين فُتنوا بجَديدِه واستطرفوا بديعَه، وعدُّوه من قِمَّة الفنِّ الشِّعري، وجعلوا مذهبه المذهب المثالي الذي يجب أن يحتذى ... على حين وقفتْ فئةٌ ثالثة موقف الحيا ؛ عندما رأت إسراف الطرفين، وشطط الطائفتين ..." (٢) .

غير أنَّ الوقوف على الحياد بين المؤيدين والمعارضين قد يُسْلِم إلى السلبية النقدية، وعدم التوجه الإيجابي نحو الأحكام والنتائج الصائبة، أو بالأحرى التي تقترب من الصواب، ومن المصطلحات التي تؤكد هذا المسلك الإيجابي مصطلح "الموضوعية "، والذي يوصل إلى اليقين؛ ليقف كنقيض لما أُطلق عليه" التطرف النقدي "(٣) .

وقد انتشرتْ على إثْـــر هذه المعركة الكتب والمصنفات، والتي حاولت التوسط في أحكامها؛ فنجحت تارة، وأخفقت تارة أخرى، فقد قيل: إنَّ "الآمدي" قد انحاز للبحتري في موازنته، وكذلك "الصُّولي" لأبي تمام في أخبار أبي تمام، كما كانت المعركة حامية الوطيس- كذلك - حول المتنبي والمزاعم التي اتهمته بالسرقة، فظَهر كتاب " الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) "الكشف عن مساوئ المتنبي"، وكذلك "الرسالة الموضحة في ذِكْر سرقات المتنبي وساقط شعره" للحاتمي (ت ٣٨٨هـ)، فأراد القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) أن يتخذ

---

(١) الوسطية في منهج النقد الإسلامي، د. وليد قصاب، ص ١٢٤، سلسلة روافد، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، الإصدار: ٥٧، سبتمبر ، ٢٠١٢م .

(٢) الخصومات البلاغية والنقدية في صنعة أبي تمام ، د. عبد الفتاح لاشين ، ص ٣، دار المعارف ، ١٩٨٢م.

(٣) الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف ، د. جابر قميحة ، ص ٢٠، الدار المصرية اللبنانية ، ط.١، ١٩٩٢م.

طريقًا وسطًا، فلا تحيُّــز لشخصٍ، ولا تعصُّب لمنهج، إنما للفن، والفنُّ وحده، متجردًا – غالبًا – من الأهواء الشخصية، والانتماءات المذهبية .

وكان مِن أهمِّ ملامح مذهبه النقدي الاعتراف لأهل البيان بالفضْل، والتحدُّث عنهم بالخير، فلا ينبغي تصيُّد الأخطاء، والوقوف عند الهفوات، فيقول: "فاستسقاط من عزّ حالُه حيْف، والتحامُل على من وُجِّه إليه ظُلم، وللفضل آثارٌ ظاهرة، وللتقدُّم شواهدُ صادقة، فمتى وجِدتْ تلك الآثار، وشوهدت هذه الشواهد فصاحبُها فاضل متقدم؛ فإن عُثِر له من بعدُ على زلّة، ووحدت له بعَقِب الإحسان هفْوة انتُحِل له عذرٌ صادق، أو رُخصة سائِغة؛ فإن أعوز قيل: زلّة عالم، وقلّ من خَلا منها، وأيُّ الرجال المهذب! ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل، ولزال الجَرْح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبدًا، ولم نسِم به إذا أردنا حقيقة أحد، وأي عالم سمعت به ولم يزلّ ويغلط! أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يهْفُ ولم يَسقُط" (١) !

والمنهج الفني منهجٌ يبحث في الأصل عن الأصول والقواعد التي بني على أساسها النص، وهو لا يتبرأ بالكُليّة من الانطباع الذاتي، والذّوق الشخصي، وإن كان في الأساس يُعنى بالأُسس والقواعد من بناءٍ فني، وتشكيلٍ أسلوبي، ومضمونٍ فكريٍّ، وصورةٍ حيَّة، وعاطفةٍ صادقة، ومراعاة السياق والمقام، وغيرها من الخصائص الفنية التي لا غنى عنها للنصوص الإبداعية بالنِّسب المُعتبرة في كلِّ جنسٍ إبداعي .

ويُحكم للمبدعين أو عليهم من خلال هذه الخصائص، والانصاف عزيز كما هو معلوم، لكنه لا يُعدم، ومن نماذجه شهادة البحتري عن شعر أبي تمام لما سئل عنه، وعن نفسه فقال: "بأن جيّد أبي تمام خير من جيّدي، ورديئي خير من رديئه"(٢)، ولا يخفى أنَّ مثل هذه الشهادة في خضم المعركة النقدية بين التيارين البارزين حينئذ، لها مكانتها الأخلاقية والنقدية .

---

(١) الوساطة ، ص ١٣ .

(٢) الموازنة بين الطائيين، الآمدي، ص٦، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط.٤، ١٩٩٢م.

كما أنَّ "قدامة بن جعفر"(ت٣٣٧هـ) أثبت أنَّ إبداع المبدع يشهد ارتفاعًا وهبوطًا، فليس للناقد أن يَحكم على المنجز جملة، فيقول: " فليس من الاضطرار إذن أن يكون ما هذه سبيله جيدًا أبدًا، ولا رديئًا أبدًا، بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران، مرة هذا، وأخرى هذا، على حسب ما يتفق، فحينئذ يحتاج إلى معرفة الجيـــد وتمييزه من الرديء"(١)، وهذا هو وظيفة الناقد المتجـــرد الذي لا تسيره الأهواء، وهو ما عناه "ابن قتيبة" (ت٢٧٦هـ) بقوله :" فكل من أتى بحَسنٍ من قولٍ أو فعل ذكرناه له، وأثنينا به عليه، ولم يَضَعْهُ عندنا تأَخُّر قائلِه أو فاعله، ولا حداثة سِنِّه، كما أنَّ الرديء إذا ورَدَ علينا للمتقدِّم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرفُ صاحبه، ولا تقدُّمُه... " (٢) .

ومن أهداف هذه الجهود النقدية ومقاصدها: العودة بالمشهد النقدي ليكون ناصع البياض، وعدم تتبُّع المثالب، وتصيُّد الهفوات التي لايخلو منها بَشر، وتشجيع العودة إلى الجادّة الإبداعية التي تراعِي الذوق وترتقي به، بل والتماس المعاذير- أحيانًا- للمبدعِين، وعدم نسيان الإحسان وقت الإساءة؛ "فليست إساءة من أساء في القليل، وأحسن في الكثير مُسقِطة إحسانه، ولو كثرتْ إساءته-أيضا- ثم أحسن لم يُقل له عند الإحسان أسأتَ، ولا عند الصواب أخطأتَ، والتوسُّط في كل شيء أجمل، والحق أحق أن يتبع"(٣) .

وهذا التوسط الذي عناه "أبو الفرج "(ت ٣٥٦هـ) قد ألقى بظلاله على النقاد في العصور المتوالية حتى العصر الحديث؛ فقد شهد القرن العشرون عدة معارك نقدية ضارية، وبخاصة بين أنصار الأصالة والتجديد، ومن هذه المعارك ما كان بين الرافعي، والعقاد، وطه حسين...، وأنصار كل منهم؛ "فكما يختلف المبدعون في الإبداع يختلف النقاد في النقد" (٤) .

---

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص٦٤، تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية، بيروت .

(٢) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، ج١، ص ٦٣، تحقيق ، الشيخ . أحمد شاكر، دار المعارف ، ١٩٨٢م .

(٣) الأغاني، للأصفهاني ، ج١٦، ص٤١٤، دار الفكر، بيروت، د. ت .

(٤) المذهب الأدبي الوسَط، د. يوسف عبد الوهاب، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر، مجلد: ٢٨، عدد: ٧، ٢٠١٢م، ص ٥١٣ .

وقد شهدتْ هذه المرحلة تطرفًا نقديًّا من بعض النقاد، ومن نماذج ذلك مقالات "وحي الأربعين" للرافعي التي هاجم فيها العقاد، وكذلك مقالاته "على السفُّود" في مجلة "العصور"، وغيرها من المقالات التي تبعتها مقالاتٌ مضادة تَنفي الاتهامات الموجهة، وهكذا دواليك .

وبعد أن وضعتْ هذه المعركة أوزارها، يأتي أحد النقاد ليقف موقفًا وسطًا من شِعْر العقاد، ينتصر فيه للإبداع دون تعصّب وهو الأستاذ " فاروق شوشة" في كتابه هؤلاء الشعراء وعوالمهم المدهشة فيقول: " والعقاد إذن على بينة بمن يهاجمون شعره ويتقولون عليه ، بغير حقيقته، مدرك للمأخذ الذي يأخذه عليه من يسميهم– من باب السخرية والتهكم – بالخبراء الألبَّاء، وهي صعوبة الفهم وعسر التناول وبعد الغاية، لكن هذا الاعتراف أو شبهته من العقاد لا تجلعنا نمضي مع هؤلاء الألبّاء إلى حدِّ نفْي الشاعرية كُلِيَّة عن "العقاد" كما حاول بعضهم، ولا إلى تبنِّي الموقف النقيض عند الآخرين الذين نادوا بالعقاد أميرا للشعر والشعراء بعد رحيل شوقي، فكِلا الموقفين يبعدان عن حقيقة العقاد الشعرية " [1] ، ومن مقاصد هذا النقد اتباع المنهج الفني المجرد في الحُكم على الإبداع، والذي يخرج به من طور التعصب إلى طور الموضوعية ، والنقد البنَّاء المُثمر .

(١) هؤلاء الشعراء وعوالمهم المدهشة ، فاروق شوشة، ص٢٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م.

خاتمة

وبعد، فقد توصل البحث إلى بعض مقاصد النقاد عند تلبسهم بعملية النقد، والحكم على الشعراء، ومن أبرزها: الدافع الديني خدمة للكتاب العزيز، وكذلك المقصد الأخلاقي، كالصدق والعدل والتجرُّد، فضلًا عن البُعد الفني الذي يُعنى بالأُسس والقواعد الفنية التي تعارف عليها النقاد في القديم والحديث، من مضمون فكري، وتشكيلٍ أسلوبي، وصورةٍ فنية حية ، وعاطفةٍ صادقة، ومراعاة السياق والمقام، وغيرها، والتي تربطها جميعًا علاقة تكاملية، فلا غنى لأحدهما عن الآخر .

وهذه الأبعاد والملامح تُشكِّل بعضًا من الأهداف التي سعى إليها النقاد عند تعرضهم للمنجز الإبداعي للمبدعين، وبخاصة لمن دارت حول نتاجهم معارك نقدية، سواءً أكان ذلك في القديم كأبي تمام والمتنبي، أم في الحديث كالمعركة التي دارت بين "العقاد" و" الرافعي" .

وهي دعوة للنقاد للتخلص من التحيز للأشخاص والتعصب للمذاهب، فيكون رائده العمل الفني، بذائقة سوية، وأحكام موضوعية، تجنح نحو الوسطية التي تبتعد عن الإفراط والنقد اللاذع الذي هو أقرب للهجاء، كما تنفر من المجاملة التي تؤثر سلبًا على المسار النقدي، والذائقة العربية، والفطرة السوية .

مراجع البحث

١. الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف ، د. جابر قميحة ، الدار المصرية اللبنانية، ط.١، ١٩٩٢م.

٢. الأغاني، للأصفهاني ، دار الفكر، بيروت، د. ت .

٣. البيان والتبيين، الجاحظ، دار صعب، بيروت ، ط.١، ١٩٦٨م .

٤. تاريخ آداب العرب، للرافعي، مكتبة الإيمان– المنصورة ، ط.١، ١٩٩٧م .

٥. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د . إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م .

٦. جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق الشيخ : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط. ١، ٢٠٠٠ م .

٧. الحياة والشاعر،"ستيفن سبندر"، ترجمة : د. محمد مصطفى بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م .

٨. الخصومات البلاغية والنقدية في صنعة أبي تمام ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، ١٩٨٢م.

٩. دراسة في البلاغة والشعر، د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط.١، ١٩٩١م.

١٠. الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق ، الشيخ . أحمد شاكر، دار المعارف ، ١٩٨٢م .

١١. الصَّاحبي في فقه اللغة، لابن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة الحلبي، القاهرة، د. ت .

١٢. الصناعتين ، أبو هلال العسكري، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، د. ت .

١٣. العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، تحقيق : د عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت.

١٤. علم المقاصد الشرعية ، نور الدين الخادمي، مكتبة العبيكان، ط. ١، ٢٠٠١م

١٥. عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط.٢، ١٩٩٥م .

١٦. قضايا حول الشعر، د. عبده بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٢م.

١٧. قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، الشيخ: العز بن عبد السلام ، دار المعارف، بيروت، د. ت .

١٨. الكامل، للمبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت، ط. ٣، ١٩٩٧م.
١٩. المذهب الأدبي الوسَط، د. يوسف عبد الوهاب، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، جامعة الأزهر، مجلد: ٢٨، عدد: ٧، ٢٠١٢م ، ص ٥١٣ .
٢٠. مقاصد عناية الحضارة العربية الإسلامية بعلم الأصوات ، د. خالد فهمي، مجلة كلية القرآن الكريم، جامعة الأزهر، طنطا ، عدد: ١، ٢٠١٥م .
٢١. منهاج البلغاء و سراج الأدباء، حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد بن الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط٣، ١٩٨٦م .
٢٢. الموازنة بين الطائيين، الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط.٤، ١٩٩٢م.
٢٣. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق ، ط. ١٠، ٢٠١٠م .
٢٤. النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر، ط.٦، ٢٠٠٥م .
٢٥. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية، بيروت .
٢٦. نقد النقد، عبد الكريم الشندودي ، إفريقيا الشرق- المغرب ، ط.١، ٢٠١٦م، نقد النقد في المفهوم والمقاربة والمنهجية ، محمد مريني ، علامات في النقد، مجلد : ١٦، عدد: ٦٤، ٢٠٠٨م، ص٤٠ .
٢٧. هؤلاء الشعراء وعوالمهم المدهشة ، فاروق شوشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م.
٢٨. الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بالاشتراك، المكتبة للعصرية ، بيروت، ط.١، ٢٠٠٦م .
٢٩. الوسطية في منهج النقد الإسلامي، د. وليد قصاب ، سلسلة روافد، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، الإصدار: ٥٧، سبتمبر ، ٢٠١٢م .